الشمـــــلة

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

بقلم الأستاذ حسن نديم

سألني صاحبي : أتعرف الشاعر الروسي «فاريف» «ريزتال» ؟

فأجبته قائلا : لم أقابله غير مرة واحدة وأذكر أنه تحدث عن روسيا بمزيج شيق من البساطة والغموض . كان يتراقص حول شخصه ضباب خفيف يضفي على الأشخاص الذين يصورهم هالة مطلقة ، ويحملهم حلقا آخر يسمو على دنيا الناس ، حتى صوته فقد كان غريبا في نبراته وكأنه ينطلق من وراء حجب . أجل ، لم أره سوى مرة واحدة ؛ غير أني أحببته منها أكثر مما أحببت كثيرا من الناس الذين عرفتهم طوال حياتي . لقد علمت بوفاته بعد هذا اللقاء القصير بزمن قليل ، فأسفت أشد الأسف ، لكنني لم أعجب لونه ، فلم يكن تبدو عليه سيما الأحياء ولا أنه من أهل دنيانا . ومنذ ذلك العهد طالما قابلت خلال أسفاري في الأقطار المختلفة أصدقاء لريزتال رجالا ونساء ، ملأ حياتهم وصاغ نفوسهم ، فأصبحوا اليوم بفضله أرق عاطفة وأرهف حسا من سائر الخلق

قال صاحبي : إني جد مغتبط لما تقول ؛ لأني كنت صديقا لريزتال . لقد حظيت بمثلث لقائه ذات يوم ولساعة من الزمان فلم أستطع بعدها نسيانه ، ثم مر ببلدي منذ أعوام ثلاثة ، فذكرني وكتب إلي ، وحل ضيفا بداري يوما كاملا . كان ذلك في مقتبل الخريف والجو ما زال باردا ، ولما كنت أظن سفيح جبل على فقد عاني ريزتال وهو العليل النحيل أشد العناء . إذ لم يكن قد أتى معه بأثواب ثقيلة تدرأ عنه غائلة البرد ، فسألني والبسمة تعلو شفتيه : هل لك أن تعيرني معطفا ؟ وأنا كما ترى أضخم منه وأطول . فذهبت من

السيارة بإحدى الأشجار ...

لم يجدوا إنسانا يطالب بنقوده أو حتى يرث كوخه الموحش القفر حيث تقفز الفيران لاهية على فراشه !

حسن فتحي خليل

نوري أبحث عن شملة سمراء اعتدت أن أرتديها كلما خرجت شتاء للصيد. أراني ريزنتال وهو جذلان طروب أنه يستطاع أن يلتف بالشملة لمتين فينعم بمزيد من الدفء. وهكذا نسي له أن يتريض معي طويلا بين المروج والشجر

طاب له المقام عندي ذلك اليوم، ففي خلال النهار راقه منزلي وحديقتي والجبال المطلة عليها. وفي المساء لذته الاصطلاء بنار الخشب المستعرة في مدفأتي، فقرر أن يقضي معي يوما آخر. ونشر الشملة فوق الفراش ونام ليلته. وفي الصباح اشتمل بها كلباس منزلي، حتى إذا أقبل المساء أخبرني أنه لا ينوي الرحيل في الغد، وصادف ما ارتآه هوموقعامن نفسي، فلم أكن أتمنى أكثر من أن أحتجز عندي هذا المخلوق الغريب أطول مدة ممكنة. وهكذا مرت الأيام تترى يوما في إثر يوم، حتى قضى أسبوعين كاملين كان خلالهما مدثرا بشملتي. ثم سافر بعد أن ترك لي قصيدة في ذكرى إقامته، وبعد بضعة أشهر نعيت بوفاته.

وحل الخريف التالي، فحظيت بزيارة أخرى لكاتب فرنسي يمحض أسلوبه المصقول الشفاف. كانت صلتي به إذ ذاك لاتعدو المعرفة العابرة، وعن له في طريقه إلى فينا أن يقضي في بلدتي الصغيرة يوما واحدا. لقد جرى حديثنا خلال الغداء عسيرا جافا، وخيل إلى أن الألفة التي كنت أنشد توثيق عراها بيني وبينه تعثر وتتداعى، وأننا جد مختلفين كل منا عن الآخر، وأيقنت آسفا أننا سنفترق دون أن يخلف أحدنا في نفس الآخر أثرا باقيا.

وفرغنا من تناول الغداء، فمشينا تحت الشجر المصفر نتريض، ثم شكا برودة الجو، فناولته أبحث له عن شملة ريزنتال

إن ما حدث بعدئذ لغريب يثير الدهش والعجب، فما إن وضع صاحبي الشملة على كتفيه حتى استحال شخصا آخر. بعث روحه التي خلقت صماء محدودة الأفق وقد تسربلت بجاء يشفوف من الشعور الحزين فرفت حاشيته وانطلق لسانه بما يجيش في نفسه. وما جن الليل حتى توطدت بيننا أواصر الصداقة، وأنس كل منا إلى صحبة رفيقه، وكما فعل ريزنتال من قبل، وقضى ضيف الخريف عندي — وقد أتى ليوم واحد — أسبوعين كاملين

وبعد، لقد أصبحت يا صاحبي أعتز كثيرا بهذه الشملة السمراء، وأسند إليها — وإن كنت لا أعتقد كثيرا في هذه الأمور — قوة روحية خيرة. ففي غضون الشتاء التالي تعشقت فتاة نمسوية رائعة الحسن تدعى « انجيبورج »، تنحدر من

أسرة عريقة أناخ عليها الدهر ، مما ألجأها إلى أن تصيب قوتها بالعمل لدى أحد الناشرين .

عرضت علىها الزواج بى ، غير أنها كانت كمعظم الفتيات اللاتى نشأن بعد الحرب تتشبث بالحياة الحرة الخالية من كل قيد ، وأجابتنى — وهى تحرص على أن تشعرنى بأننى إلى نفسها قريب — قائلة : إنها لا تطيق مجرد فكرة الارتباط بوثاق الزواج . كنت لا أملك نفسى من الألم كلما شاهدتها طليقة فى مدينة كبيرة ، وشاهدت حولها نفرا من الذين ليس لهم من ضميرهم وازع ، ولبثنا عدة أشهر مضنية على تلك الحال .

وفى نشوة الربيع رضيت انجبورج ان تزورنى فى منزلى بوينزلاند ، وخرجنا إلى الحديقة بعد العشاء فى أول أمسية من إقامتها عندى فقلت لها : هل لك أن تصغى معى جميلا ، فتسمحى لى أن أضع على كتفيك شملتى بدلا من معطفك ؟ إنى أعلم أنك لا تقيمين للعواطف وزنا ، ولابد أن تبدو لك مثل هذه الرغبة سخيفة ، ولكن ماذا يضيرك ؟ هذه أول أمسية تقضيها عندى ، فاستجيبى لرجائى من أجلى ناشدتك الله ! فضحكت ساخرة منى فى كثير من الفتنة والدلال ، ثم قبلت أن تشتمل شملتى

أمسك صاحبى عن الكلام بغتة ، فقد كان يتهادى نحونا من نهاية الممشى فى غسق الليل شخص رائع الحسن عليه شملة سمراء

ثم قال لى : هلا عرفت زوجتى ؟

حسن نجيب

وحى الرسالة
فى ثلاثة أجزاء

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل جزء أربعون قرشاً عدا أجرة البريد